المرأة غير الحبيبة في شعر الشعراء الجاهليين

شعراء الطبقة الأولى ـ إنموذجًا

م.م. شيماء مكطوف جويد مهلهل الحمداني

جامعة سومر

shaimamaktouf@uos.edu.iq

الملخص:

هذا بحث في (المرأة غير الحبيبة في شعر الشعراء الجاهليين ـ شعراء الطبقة الأولى ـ إنموذجًا) مستقرئًا شعرهم مستهدفًا العلاقات القلقة التي وردت في أشعارهم، هذه العلاقات التي دارت بينهم وبين نساءٍ كن حبيباتهم في يوم من الأيام ثم دارت الدوائر فحصلت القطيعة والسلو والهجران وحتى الطلاق، وهُجين في أشعارهم، بعد إن كانوا يتَغَزّلون بهن في مفتتح قصائدهم.

وقد أبدع شعراء الطبقة الأولى الجاهليين ـ موضوع البحث ـ في وصف هذه العلاقات المضطربة وإظهار هذا الاضطراب في صور بيانية لا تقل روعةً عن تلك التي تغزلوا فيها بهنّ.

الكلمات المفتاحية: (المرأة ، شعر الشعراء الجاهليين).

The Unloved Woman in the Poetry of Pre-Islamic Poets

First Class Poets – A Model

Shaima Maktouf Jawid Muhalhal Al-Hamdani

Sumer University

shaimamaktouf@uos.edu.iq

Abstract:

This is a research on (The Unloved Woman in the Poetry of Pre-Islamic Poets - First Class Poets - A Model) examining their poetry targeting the troubled relationships that were mentioned in their poems, these relationships that took place between them and women who were their lovers one day, then the tables turned and there was estrangement,

consolation, abandonment and even divorce, and hybridization in their poems, after they used to flirt with them at the beginning of their poems.

The pre-Islamic poets of the first class - the subject of the research - excelled in describing these troubled relationships and showing this turmoil in rhetorical images that are no less wonderful than those in which they flirted with them.

Keywords: (Women, Poetry of Pre-Islamic Poets).

ـ المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والحمد حقه كما هو أهله والشكر له كما ينبغي، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد بن عبد الله وعلى آله الغر الميامين وسلم تسليمًا كثيرًا.

أمّا بعد...

فلا يخفى على المتتبع للشعر العربي على أنه سفر العرب الذي لا ينضب وذكرها الخالد المتجدد على كرور الأزمان، فهو المعين الثر الذي استوعب القومَ الأُوْلَى وأغدق على الآخرين بعد الأولين دراساتٍ وموضوعاتٍ تشي بالجدّة والطرافة، فقد استوعب هذا السفر جل ما عندهم من حياة عاشوها وأعمال عظام عملوها، فذكروا فيه ما جَلَّ وجَلَّ، وما قلَّ ودلَّ. فتركوه إرثًا ينعم به الورثة الدارسون يستنطقونه ليروا أجدادهم فيه، ممارساتٍ وعاداتٍ، فصاحةً وبلاغةً وحكمةً ونجدةً وشجاعةً وعنفوانًا ودهاءً ومكرًا وخيرًا وشرًا.

فعرفنا به أحوالهم، فكان الناطق عنهم، الأمين على الإخبار عن أخبارهم، في إعلانهم وإسرارهم.

وللدراس في هذا الإرث المباح، والمعين المتاح، والعباب الكامن بالفرائد الملاح، أن يدلو دلوه فيتحصّل على الجواهر والدرر، فكان أن أوردنا واردنا فألقى دلوه، ثم ما برح حتى استوقفته نكتة ظريفة وعلامة في الشعر شريفة، ظاهرة للعيان بعيدة عن الأذهان، لا نشك أنها استوقفت قبلنا كلَّ من قرأ الشعر وتدّبر وكتب عنه وعبّر، ألا وهي (المرأة غير الحبيبة) تلك المرآة التي توشّحت بها بعض قصائد أكابر الشعراء وفحولهم، إذ بان لنا أن أغلبهم كانت له تجربة أو أكثر، مع غير امرأة كان السلو والبغض والهجران والهجاء مختتمها ونهاية مطافها، فعمدنا إلى البحث في هذه الظاهرة التي مرّت مرور الكرام على الباحثين، وكأنها من رزق الله المخبأ لنا دون عباده، فتلقفناها فكرة بكرًا وطالعنا الدواوين، فوجدناها ظاهرة كبيرة عريضة لا يخلو منها ديوان من الدواوين، فاقتصرنا على الشعراء الجاهليين، وحددنا هذا الاقتصار بشعراء الطبقة الأولى منهم لأن مقام البحث لا يتسع لمقال هذا الظاهرة.

فجاء البحث بمقدمة شرحنا فيها ظرف البحث وصيرورته، وتمهيد اقتصرناه في الحديث عن أهمية المرأة في الحياة بصورة عامة وفي الشعر بصورة خاصة، متطرقين للوجه الآخر من المرأة ـ موضوع البحث، ثم دلفنا إلى تقسيم البحث على فقْرات هي مراتب الفراق التي رتب الشعراءُ المرأةَ غيرَ الحبيبة فيها، بعد ذلك ختمنا البحث بأهم ما توصلنا إليه من نتائج نرى أنها زُبْدة ما تمخض عن بحثنا هذا. تلوناها بقائمة تضم المصادر والمراجع التي استعنا بها في بحثنا.

والحمد لله رب العالمين في الأول والآخر والسلام على سيد المرسلين وآله المنتجبين.

ـ التمهيد:

حظيت المرأة على اختلاف التجمعات البشرية ـ سواء أكانت بدائيةً أم متطورة ـ بمكانة غير مستقرة فمن أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، فمن كونها رمزًا وإلهةً إلى كونها مسخًا ليس بشريًّا حتى،(

١)، أو كما يقول أحد الباحثين: (ومن هنا تتراوح المرأة بين طرفين: أن تكون إلهةً، أو داعرةً؛ مصدرًا للوحي والإلهام، أو آلةً لقضاء الوطر)(٢). وعلى الرغم من هذه النظرة أو تلك، ظلت المرأة سكنًا ـ على اختلاف المعنيين المادي والروحي لهذه اللفظة عند قوم وغيرهم.

حتى إذا ما تطوّرت المجتمعات وصارت شعوبًا وقبائل، تسكن الوبر والمدر، وعبّر الإنسان عن لواعجه وحاجاته(٣) برزت المرأة فيما يعبّر معادلًا موضوعيًا مهمًا لا يكاد يخلو منه تعبير أدبي مهما قصر أو طال، يشي بأهمية المرأة عند الرجل، ولو على المستوى الفردي أو الإبداعي، فهذا المجتمع الجاهلي الذي كان يَئِد البنات ويراهن شرًّا كامنًا كان يتغنى بالمرأة ويتودد إليها ويوشح بها قصائده، بل نرى البعض أوقف حياته عليها حتى عُرِفَ بها كما عُرِفَتْ هي بهِ(٤).

إلا أننا في بحثنا هذا نطرق بابًا للمرأة غيرَ مألوفٍ في عالم الدراسات التي عنيت بالمرأة معادلًا موضوعيًا ـ ملهمًا ـ ومفتتحًا لِجُلِّ القصائد التي قالها كبار الشعراء على اختلاف عصورهم وأفكارهم ونظرتهم الحقيقية(٥) ـ لا الأدبيّة ـ للمرأة، ألا وهو باب (المرآة غير الحبيبة). ونقصد بها المرأة الآخرى، فلو جاز لنا أن نقول: إن المرأة بصورة عامة ـ ولا سيما في قصائد الغزل ـ هي الآخر والشاعر هو الأنا، فإن المرأة غير الحبيبة هي الآخر من الآخر، وهي الأكثر بعدًا وإقصاءً، بغضّ النظر عن ماضي هذه المرأة التي وجدناها في الأعم الأغلب هي زوجة أو حبيبة (سابقة) تحوّل عنها الشاعر فصارت عنصرًا غير محببٍ له تناوله في شعره، ساردًا تجربته معها بمرارة معلنًا تمرده عليها نافرًا منها محذرًا منها ومن أمثالها.

ـ المرأة غير الحبيبة:

حرص الشاعر العربي ـ بقصد أو دون قصد ـ سجية فطره الله عليها أو عنوة إلى تخليد الأشياء على ذكر ما يمر به في يومه وليلته ـ على اتساع الزمان والمكان. ولمّا كانت المرأة موضوعًا يوشّح

به جل قصائده، يسطر فيه علاقته بها، متغنيًا بها باثًا لواعجه في تضاعيف قصائده، وما يكابده من ألم الفراق ولذيذ جلد الذات في ما يجد منها ومن تمنعها وصعوبة الوصول إليها، فقد أمدنا الشاعر العربي بجملة كبيرة من القصائد التي رسمت أحوال الرجل وعلاقته بالمرأة ـ إيجابًا وسلبًا ـ والعكس بالعكس وإنْ قَلَّ أنْ رَسَمت لنا ـ المرأة الشاعرة ـ أحوالها وعلاقتها بالرجل، إذ لطالما كان الرجل فارس القصيدة ومنشئها غالبًا إياها في العدد، والحل، والترحال على المرأة قعيدة الدار الخفرة عن الأستار. وبـ(ذلك أنهم، بأقوالهم عن المرأة وفيها، إنما يُفصحون عن وجودهم، ويُنْبِئون بأحوالهم، ويعبرون عن إرادة قوتهم. فخطابهم، خطاب الرجل عن المرأة، لا خطاب المرآة بالذات. أنه خطابٌ المرأةُ موضوعُهُ ومحطُّ رؤيته ومعرفته. ولكن موضوع الخطاب يدخل، لا محالة، في سلطة واضع الخطاب، والمعروف يستولي عليه العارف استيلاءً ما*)(٦). لذا فإننا سنقرأ المرأةَ من أفواه الشعراء.

وعلى الرغم من أن (الرجل يألف المرأة لأنها تشبهه، ويفتتن بها لأنها مختلفة عنه. وهو يرغب في الاجتماع بها للفرق القائم بينه وبينها. فلا مبرر للجمع لو لم يكن ثمَّة فرق. والفرق بين الكائنين المختلفين هو مدى وجودي يمكّن كل كائن من أن يفصح عن كينونته، أي أن يحضر ويبقى. ولهذا، ففي الجمع فناء، وفي الفرق بقاء)(٧).

والحال لا تمضي على وتيرة واحدة فعلى قدر رغبته فيها رغب عنها ولشدة كلفه بها وهيامه فيها هام على وجهه منها، هرب من سطوتها المعنوية وأعلن تمرده ورفع صوته بكرهه إياها والتبغض منها، وكما وشّحَ قصائده بحبها وشّحها أيضا بكرهها وبغضها والنفور منها والسلو عنها.

ولم تقتصر هذه الظاهرة على شاعر دون آخر إلا أنها كانت حاضرة عند بعضهم حضورًا لا يمكن إغفاله أو التنكر له. وكان هذا جليًا كلما توغلنا في الزمن أبعد فنراه عند الشعراء الجاهليين أوضح من غيرهم من الشعراء، ومرد ذلك كما نراها لطبيعة الشاعر الجاهلي التي كانت أكثر خشونة من غيره من الشعراء في العصور اللاحقة التي اتسمت أشعارهم بالميوعة والتذلل والخناثة أحيانًا(٨) حدًّا فاق ما كن عليه عند الجاهليين.

والمرأة غير الحبيبة في هذا البحث هي المرأة زوجًا كانت أم عشيقة، حليلة كانت أم خليلة، سلا عنها زوجها أو حبيبها بعد أن ضاق ذرعًا بها، فسلب منها ما كان مدحها به تغزلًا، فهجاها بما كان قد تحمله منها بعد أن سخط عليها، فقد قال الشاعر العباسي(٩):

وعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ ولكنَّ عينَ السخطِ تبدي المساويا

وقد وجدنا أن شعراء الطبقة الأولى الجاهليين ذكروا المرأة غير الحبيبة في أكثر من معنى، حصرناها في العنوانات التالية: (الصرم أو القطيعة، والصحو، وتوفير البديل، والفراق والنأي، وزجر الصبى ونهي النفس، والسلو، والصد، والهجر والرحيل، والطلاق) وكان ترتيبنا لهذه المفردات حسب كثرتها في ما بين أيدينا من عينات شعرية تعود لشعراء الطبقة الجاهلية الأولى، وإن تداخلت بعض المعاني مع غيرها إلا أننا حاولنا ـ قدر المستطاع ـ أن نفك هذا التداخل معتدمين على السياق العام لمعنى النص الشعري أو أننا عمدنا إلى وضع المتشابهات في ما لا نرى من بقائه بدًّا في

حقل دلالي واحد، مثل الصرم والقطيعة، أو الفراق والنأي، أو زجر الصبى ونهي النفس، أو الهجر والرحيل، لتداخل هذه المعاني مما لا طائل يُفاد من فك تداخله.

١ـ الصرم أوالقطيعة:

الصرم: (صَرَمَهُ يَصْرِمُهُ صَرْمًا، وَيُضَمُّ: قَطَعَهُ بائِنًا،... والصَّرِيْمَةُ: العَزِيْمَةُ، وَقَطْعُ الأمْرِ،... والصَّرُوْمُ: القَوِيُّ على الصَّرْمِ،... وَتَصَرَّمَ: تَجَلَّدَ وَتَقَطَّعَ،...)(١٠).

القطيعة: (.. وَقَطِيْعةً، فهو رجلٌ قُطَعٌ، كصُرَدٍ وهُمَزَةٍ: هَجَرَهَا، وَعَقَّها،... وَالقَطِيْعَةُ، كشَرِيْفةٍ: الهِجْرَانُ،... والقِطَاعِ، وَيُفْتَحُ، أي: الصرام)(١١).

ومن معناها اللغوي نستشفّ أنها القطيعة البائنة بإصرار ومقدرة وإقدام على الفعل وهذا ما نراه في قول امرئ القيس(١٢):

أَفَاطِمُ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

ففاطمـ(ـة) التي كانت حبيبته في يوم ما، أزعجه بعض تدللها عليه، هذا التدلل الذي يستلذ الشعراء به ويجلدون ذاتهم لأجله، نرى امرأ القيس يتخذه ذريعةً لصرمها وقطيعتها، إذن هي لم تكن حبيبة مصافية تستحق أن يصبر على بعض تدللها أو أنها كانت حبيبته وقد ازعجه بعض تدللها الذي صار عنادًا يمس رجولته ويجعلها في خطر.

ونرى امرأ القيس في مكان آخر وحبيبة أخرى يخيرها بين الصرم والوصل وقد قدّم الصرم على الوصل إيحاءً منه لها أنه غير مبالٍ بأيهما تختار، بل أن الصريمة راحةٌ إزاء الشك الذي يكتنف علاقتهما، إذ يقول(١٣):

أَمَاوِيَّ هَلْ عِنْدَكُمُ مِنْ مُعَرَّسِ أَمْ الصَّرْمَ تَخْتَارِيْنَ بِالْوَصْلِ نَيْئَسِ

أَبِيْنِيْ لَنَا، إنَّ الصَّرِيْمَةَ رَاحَةٌ مِنَ الشَّكِّ ذِيْ الْمَخْلُوْجَـــةِ المُتَلَبِّسِ

وهو في مكان آخر يخبّرنا عن غانية وهي التي استغنت بجمالها عن الزينة(١٤). صرم حبلها دون أن يكترث لها، وهو لا يعطي القود وهو (القصاص)(١٥) ولا هو ممن يصطاد بالختل أو الغدر، فهو غير آبهٍ كما يقول(١٦):

يَا رُبَّ غَانِيَةٍ صَرَمْتُ حِبَالَهَا وَمَشِيْتُ مُتَّئِدًا عَلَى رُسْلِي

لا أَسْتَقِيْدُ لِمَنْ دَعَا لِصِـــــبًا قَسْرًا وَلَا أَصْطَادُ بِالْخَتْلِ

وهذا الصرم وهذه القطيعة صارت سجيته وجوابه لكل من يصارمه حتى من الذكور الرجال فضلًا عن النساء، والعكس بالعكس، إذ يقول(١٧):

إِنِّي لَأَصْرِمُ مَنْ يُصَارِمُنِي وَأَجِدُّ وَصْلَ مَنْ ابْتَغَى وَصْلِي

وهو إذ لا يبالي بمن يصرم ـ لمن يرى حقه الصرم والقطيعة ـ فهو في مكان آخر يلتمس العذر مبررًا سبب قطيعته بما ألمّ به من شغل يعرض أو خطب يعدّي عن الصديق أو عقل يمنع بعض الصبابة، وهذه الأسباب قد جمعها في قوله (١٨):

رَحَلْتَ وَلَمْ تَقْضِ اللُّبَانَةَ مِنْ جُمْـــلِ وَكَانَ سَفَاهًا صَرْمُ ذِيْ الْوِدِّ وَالْوَصْلِ

وَمَا ذَاكَ مِنْ صَرْمٍ بَدَا لِيْ وَلَا قِلًـــى وَلَكِـــــنْ مُلِمَّاتٌ عَرَضْنَ مِنَ الشُّغْلِ

وَخَطْبٌ يُعَدِّي ذَا الهَوَى عَنْ صَدِيْقِهِ وَيَمْنَـــعُ مِنْ بَعْضِ الصَّبَابَةِ ذَا الْعَقْلِ

فهو لم يصرم جمل (جميلة) للصرم نفسع أو للقلى، بل يرى من السفاهة صرمها، غير أنه مر بظروف شغلته وخطوب عدّته وعقل منعه الغي وأعاده إلى الرشد.

وإن كان هذا الصرم عند امرئ القيس وهذه القطيعة وهما في الغالب منه لغيره جوابًا لمن أراد الصرم أو القطيعة أو فعل فعلًا ينبي بهما، فإن لزهير بن أبي سلمى رأي آخر إذ يقول(١٩):

لَقَدْ طَالَبْتُهَا، وَلِكُلِّ شَيْءٍ، إِذَا طَالَتْ لَجَاجَتُهُ، انْتِهَاءُ

.....

فَصَرِّمْ حَبْلَهَا، إِذْ صَرَّمَتْهُ وَعَادَكَ، إِنْ تُلَاقِيْهَا، الْعَدَاءُ

فهو بعد ما استيأس من وصلها أعلن صرمها إذ لا بدَّ أن تكون نهاية مجزية لهذا المطال الذي طالت لجاجته وجزاؤه عنده الصرم بعدما تبيّن من مطالها صريمته، بل ذهب إلى أبعد من ذلك ليرى فيها العدوالذي لا بد من مبادلته العِداء.

وأما النابغة الذبياني الذي لم يصرّح بمفردتي الصرم أو القطيعة صراحة إلا أنها جاء بمفردات توحي إليهما، إذ يقول(٢٠):

بَانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا اِنْجَذَمَا وَاَحْلَّتِ الشَّرْعَ فَالأَجْزَاعَ مِنْ اِضَمَا

إِحْدَى بَلِيٍّ وَمَا هَامَ الْفُؤَادُ بِهَـــا إِلَّا السَّفَـــــاه وَإِلَّا ذِكْرَةً حُلُمَـــــا

والجذم هو القطع والقطيعة(٢١) فسعاد بانت أي (ابتعدت) وحبل ودِّها انقطع بل هي في أماكن بعيدة حيث (الشرع)، و(الأجزاع)، (الأضم)، وما سعاد إلا أحدى نساء قبيلة بَلِيّ والرجل منها (بلوي. و[المرأة] بليانة بالمغرب)(٢٢) وهو دلالة على بعد دارها، وما كان حبه لها إلا سفاهًا، نرى النابغة هنا يبرر لقطيعته سعاد بالأعذار، بالبين تارة وبالبعد تارة ثانية وبالسفه تارة أخرى، بل هي (ذكرة حُلُمًا)، لا تعدو أنها مرت بحياته مرور الكرام كما يمر الحلم بالحالم.

ثمَّ أنه يصادفنا ـ أي النابغة ـ كما في غيره من شعراء ذلك الجيل، شاعرًا فحلًا لا يرضى التذلل أو التبذل لمن يحب، بل يحاكم محبوبته ويتعامل معها القذة بالقذة، كما في قوله لقطام، إذ يبدأ قوله باستفهامِ عالمٍ بالذي يستفهم عنه، استفهام انكاري يخرج إلى معنى التوبيخ، في أن تترك عادتها السيئة وهي التدلل والضن، في غير موضعهما وهو ينصحها بأن لا تلجّ ولا تلحَّ بهما، ثم هو يعطيها النصف من نفسه والنصيحة في البيت الذي يلي البيت الأول ويرشدها إلى ما هو محبب من الدلال وإن كان دلالها هذا وراءه ما وراءه من قصد القطيعة فبالسلام نختم ما بيننا، إذ يقول(٢٣):

أَتَــارِكَةً تَــدَلُّلَــهَا قَطَامِ وَضَــنًّا بِالتَّحِــيَّةِ وَالْكَلَامِ

فَإِنْ كَانَ الدَّلَالَ فَلَا تَلَجِّي وَإِنْ كَــانَ الْوَدَاعُ فَبِالسَّلَامِ

وما نرى كل هذا من النابغة إلّا لأنه رجلٌ خبر الحياة وتحمل أعبائها لوحده لا يريد من يشاركه فيها حتى وأن كانت أقرب الناس إليه، بل هو يطلب منها تركه في خلوته ليقاسي همومه وحده، إذ يقول(٢٤):

كِلِيْنِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ وَلَيْلٍ أُقَاسِيْهِ بَطِيْءِ الكَوَاكِبِ

وما الأعشى ببعيد عن صحبه ومَنْ هم في طبقته من الشعراء الجاهليين الذين تم ذكرهم في سالف قولنا، فهو شاعر متمرد حتى على ثوابته، ناهرًا لهواه الذي لجّ فيه، متقلبًا في درجات الصرم والقطيعة كغيره، فمن نصح وتوبيخ لحبيبته إلى نهر وزجر لنفسه، إذ نراه يوبخ سمية في قوله(٢٥):

سَفَهًا، وَمَا تَدْرِي سُمَيَّةُ وَيْحَهَا أَنْ رُبَّ غَانِيَةٍ صَرَمْتُ وِصَالَهَا

هو يضحك منها ومن سفهها في تدللها عليه وتمنعها منه، داعيًا لها بـ(الويح)(٢٦) بأنه قد صرم مَن هي أرفع منها عمادًا وأحسن منها جمالًا، فرحمةً لها ولنفسها أن لا تتعنت سفاها في تعاملها معه وتعاطيها وصله، فهو غير مبالٍ بصرم وصال غوانٍ لا تدانيهن حسبًا أو جمالًا.

وهو غير مكترث للوم اللائم أو عتب العاتب، إذا ما استقر في نفسه أن الصرم أولى من الوصل لسمية أو هريرة، أو سواهما، معللًا ذلك بانقضاء الوطر تارة أو بالسأم تارة أخرى، فبالمكوث حولًا عندها ما يغني عن البقاء ويشفع للقطيعة والصرم، إذ يقول(٢٧):

هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وَإِنْ لَامَ لَائِـمُ غَدَاةَ غَدٍ أَمْ أَنْتَ لِلْبَيْنِ وَاجِمُ

لَقَدْ كَانَ فِي حَوْلٍ ثَوَاءٍ ثَوَيْتَهُ تَقَضِّي لُبَانَاتٍ، وَيَسْأَمُ سَائِمُ

نحن قلنا في بادئ حديثنا عن الأعشى أنه رجل ناهر لهواه الذي لجّ فيه، فهو وإن راودته نفسه على وصل من قطعها سابقًا، إلا أنه نفسه في صراع دائم بين عقله (المتمثل برجولته وقراراته التي أخذها عنوةً وقصدًا دون الإلتفات للوم اللائم أو عتب العاتب) وبين قلبه الذي يذكره حب سلمى ويطلب منه وصلها، هذا الوصل الذي أمضى عليه الأعشى بالقطيعة البائنة التي لا رجعة فيها، هذا

الصراع الذي تنتصر فيه الفحولة على الميوعة، الرفعة على الاتضاع، كما يعبر الشاعر نفسه، وهو يذكرها بما تجرعه من حبه سلمى، إذ يقول في ثنائية ضدية هي من أجمل لوحاته الغزلية، مستفهمًا استفهام مُنْكِرٍ، موبخًا، مذكرًا بما آلت عليه هذه العلاقة، زاجرًا، أقصر، أَبَعْدَ هذا الشيب تبغي ودها؟!(٢٨):

أَوَصَلْتَ صُرْمَ الْحَبْلِ مِــنْ سَلْمَــى لِطُــــوْلِ جَنَابِهَا

وَرَجَعْــتَ بَعْدَ الشَّيْبِ تَبْـ ـغِــــي وُدَّهَــــا بِطِلَابِــهَا

أَقْــصِرْ فَــأَنَّكَ طَــــالَمَا أَوْضِــعْتَ فِــــي إِعْجَابِهَا

وإن كان الأعشى الأقدر على منع هواه في صحوه ويقظته، فليس الأقدر في منامه أو سدور خياله، على الرغم من القطيعة والصرم إلا أن خيال قتيلة ألمّ به وقد وهت كل حبال الوصل التي يسلكها الخيال إلى قلبه ووجدانه، إذ يقول(٢٩):

أَلَـمَّ خَـيَالٌ مِنْ قُتَيْلَةَ بَعْدَمَا وَهَى حَبْلُهَا مِنْ حَبْلِنَا فَتَصَرَّمَا

ما يصادفنا في الأعشى وفي غيره من سبق ذكرهم من الشعراء، أنهم دائمو التذكير لأنفسهم بأنهم في صرم وقطيعة تذكير نشمُّ منه استنهاض همة الصرم والقطيعة والاصرار عليها والبقاء في دائرتها، ففي الضعف والعودة إلى الحبيبة ذل وضعة.

من استقراء النصوص الشعرية لشعراء الطبقة الأولى الجاهليين التي تناولت الصرم والقطيعة، نلخص إلى نتيجة مفادها؛ أن الشعراء تناولوا هذه الموضوعة من جهة أحادية وهي جهتم فقط، وإن كان لا بد من ذكر الطرف الآخر، فَذُكِرَ على أنه مقصرٌّ داعٍ إلى القطيعة تصريحًا أو تلميحًا، قولًا أو فعلًا، وأن الشعراءَ كلَّهم إنما صرموا حبيباتهم رد فعلٍ على ما صدر منهن، في غالب الأحيان إلا ما ورد في نصٍ للأعشى الذي قضى وطره بعد حول مكثه عندها!. ثأرًا لأنفسهم وكرامتهم وفحولتهم.

٢ـ الصحو:

الصحو: (و: الصَّحْوُ ذهاب الغَيْمِ والسُّكْرِ، وترك الصِبَا والباطلِ، ...)(٣٠). وبالمعنيين الأخيرين للصحو (ترك الصِبَا والباطل) يُرْتَسم مسار حديثنا عن صحوة الشعراء في تركهم الصبا والتصابي والوقوع في الباطل، وكأن ما كانوا فيه سابقًا هو خلاف السجية الحقّة، من ذهابِ العقلِ واجتنابِ الحقّ، بل هو أبعد من ذلك عند امرئ القيس الذي يرى ما كان فيه خلاف الإبصار القلبي لا إبصار الجارحة، إلا أن صحوه لم يكن دون سبب أو علّة وإنما لما غزاه من شيبٍ راعه، ولقول فواليه يعذلنه وهن يفتلين رأسه، وعذلهن إياه على أن يتغير إلى حال هي أحسن مما هو عليها الآن، إذ يقول(٣١):

صَحَا الْيَوْمَ قَلْبِي عَنْ لَمِيْسَ وَأَقْصَرَا وَجُــنَّ بِهَــا مَــا جُــنَّ ثُمَّتَ أَبْصَرَا

وَذَاكَ بِــأَنَّ الشَّيْبَ فِي الرَّأْسِ رَاعَهُ وَقَــالَ فَوَالِيْــهُ: أَلَا قَــدْ تَـغَيَّـــــرَا

فإن كان صحوه عن لميس لما راعه من شيب ومن عذل فواليه، فهو في انصرافه عن ابنة البكري التي رأت عزمه من الصبا واللهو هو لتبدّل حال جدّة شبابه إلى شحوب المشيب، ورثّ حبل وصاله وخَلَقِه بعد إذ كان جديدًا، إذ يقول(٣٢):

تَـقُـوْلُ لِـيَ ابْنَةُ الْبَكْرِيِّ لَـمَّا عَـزَمْـتُ مِـنَ الصّبَا وَ اللَّهْوِ بَالَا

.....

تَـبَـدَّلَ بَعْـدَ جِـدَّتِهِ شُـحُـوْبـًا وَأَصـْبَـحَ حَـبْـلُـهُ خَـلَـقًـا مُـذَالَا

ونرى امرأ القيس في ما ذكرنا له من أشعار في الصحو، وقد علمنا أن الصحو ترك الصبا والباطل، نراه يتفلّت في صحوه من عجزه، فمرةً يعزوه للشيب والفوالي ومرةً يعزوه لقول ابنة البكري، وفي هذا عدم اعتراف منه بأسباب صحوه، كما عهدنا له ذلك في أبياته في الصرم والقطيعة التي كان فيها أكثر وضوحًا مما نحن فيه الآن.

ولو تركنا امرأ القيس ودلفنا لزهير بن أبي سُلمى، وهو أكثر الشعراء صحوًا ولا سيما عن سلمى التي صحى قلبه عنها مرارًا ولأكثر من سببٍ، إذ نراه يقول(٣٣):

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَقَدْ كَانَ لَا يَسْلُو وَأَقْـفَـرَ مِـنْ سَـلْـمَى التَّعَانِيْقُ وَالثُّقْلُ

وَقَـدْ كُـنْـتُ مِـنْ سَـلْـمَى سِنِيْنَ ثَمَانِيا عَـلَى صِـيْرِ أَمْـرٍ لَا يَـمُـرُّ وَلَا يَحْلُو

في البيتين السابقين، يذكر لنا الشاعر سبب صحوِ قلبه عن سلمى، قلبه الذي كان لا يسلو عنها ولا يرى بديلًا، بعد صبر ثماني سنين لعل الأمر يصير إلى خير ولكنه أمرٌ بقي معلقًا لا يمرّ على وتيرة معينة ولا يحلو، لذا صحا قلبه عنها تاركًا إياها، ليعلن مرةً أخرى وبحزم أكبر صحوه عن سلمى وتركه لها، إذ يقول(٣٤):

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُـهُ وَعَـرَّى أَفْـرَاسُ الصِّـبَا وَرَوَاحِـلُـهُ

وَأَقْصَـرَ عَمَّـا تَـعْـلَـمِيْنَ، وَسُـدِّدَتْ عَـلَـيَّ، سِـوَى قَـصْـدِ السَّبِيْـلِ، مَعَادِلُهُ

فهو هنا يعلن أن بقاءه مع سلمى هو تصرّف باطلٌ من قبل قلبه، وها هو الآن يقصر عنه، بل أن أفراسه ورواحله التي كانت تقوده إليها ـ سواء أكانت هذه الأفراس والرواحل حقيقة أم خيالًا ـ فقد تعرّت بعدما انتفت الحاجة إليها في ارتحاله إلى سلمى، سوى قصد السبيل، وهو معنى لطيفٌ واستعارة بديعة في أنه عرّى أفراسه إليها ولغيرها سوى قصد السبيل.

يبدو أن زهير راعى الذمام حتى في صحوه وهجره، مراعاة لِمَا كان من حبٍّ وعشرةٍ بين الناس لذا هو لم يلقِ باللوم كله عليها أو أنها سبب ما آلت إليه حالهما، لذا نراه يقول: (أمرٍ لا يمرُّ ولا

يحلو)، لذا هو يرعى الله فيها والناس، كما يرعى الحب والعشرة، على الرغم من فراقه لها، وأنها أصبحت غير عشيقة له ولا حبيبة إذ يقول(٣٥):

فَصَحَوْتُ عَنْهَا، بَعْدَ حُبٍّ وَأَمَانَةٍ فِي النَّاسِ، مِنْ قِبَلِ الإِلَهِ، رِعَاءُ

فإذا ما ارتحلنا بالشعر إلى الأعشى نراه يعلن انتصار قلبه وانعتاقه من قتيلة التي أسرته، وهو إذ يصف قلبه بالأسير، لَدلالةٌ واضحةٌ على عدم تكافئ العلاقة بينهما وقلقها، بين طرفين يراهما الشاعر بين ظالمٍ آسرٍ ومظلومٍ مأسورٍ مكبلٍ، إذ يقول(٣٦):

صَحَا الْقَلْبُ مِنْ ذِكْرَى قُتَيْلَةَ بَعْدَمَا يَكُوْنُ لَهَا مِثْلَ الْأَسِيْرِ الْمُكَبَّلِ

وخلاصة القول في صحو الشعراء عن حبيباتهم: هو الصحو عن حالة غير مَرْضِيَّةٍ لدى الشعراء أحسوا معها بالغبن والحيف والأسر والتكبيل، بل أحسوا أنهم في باطل بحق أنفسهم، صحوٌ اختلف في جزئياته الشعراء آنفي الذكر، فمن غير معترف بتقصيره، ملقٍ اللوم على المرأة كما هو الحال عند امرئ القيس، إلى صحوٍ متكافئ أو يكاد، كما رأيناه عند زهير بن أبي سُلمى، إلى صحو هو أشبه بالخروج من سجنٍ وأسرٍ وتكبيلٍ كما هو الحال عند الأعشى.

تفاوتت دوافع الصحو عند الشعراء، على الرغم من أننا نرى أن سبب هذه الدوافع واحدٌ هو قِلى العيش معهن وبغضهن، فهن لم يعدن معشوقات يستهام بهن فقد مضت لهفة البدايات، واستقرت بالنفس الملالة، كما يقول الأعشى(٣٧):

لَقَدْ كَانَ فِي حَوْلٍ ثَوَاءٍ ثَوَيْتَهُ تَقَضِّي لُبَانَاتٍ، وَيَسْأَمُ سَائِمُ

٣- توفّر البديل:

البَدَلُ: (بَدَلُ الشّيءِ، محركةً، وبالكسرِ كأَميرٍ: الخَلَفُ منه، ج: أبدالٌ، وَتَبَدَّلَهُ، وبِهِ، واسْتَبْدَلَهُ، وبِهِ، وأَبْدَلَه منه، وبَدَّلَهُ منه: اتَّخَذَم منه بَدَلًا، ...)(٣٨). وأنها من الصفات السيئة التي تجاهر بها الشعراء، مهما كانت الأسباب التي دفعتهم لمثل هذا، ولعل امرئ القيس أكثرُ الشعراء ـ موضع البحث ـ ممّن وردت في أشعارهم ألفاظ تدل على أن هناك بديلًا أو بدائلَ يتسلى أو يسلو بهن عن المرأة التي أضحت غير حبيبة إليه، بل لا نرى غيره في هذا الميدان، إذ يقول(٣٩):

فَمِثْلُكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمِ مُحْوَلِ

ومفردة (مثلك) التي يكررها الشاعر في غير موطن، لها دلالاتها النفسية والمعنوية لدى المرأة والشاعر على حدٍّ سواء، فكونها تهديد للمرأة وتقليل من شأنها، فهي عنصر تشفٍ لدى الشاعر، وأخذٍ للثأر ممن قَلَتْه أو ماطلته بوصلها.

لا يدعنا الشاعر نفكر ولو للحظة واحدة أن هذه المرأة البديل هي من سقط المتاع، وإنما هي من سراة القوم، لا يرام خباؤها ولا يمكن الوصول إليها دون الوقوع بالمخاطر، ثم هو لا يختطف الخلوة

من هذه الـ (مثلك) بمثل ما تتخطفه الطير وإنما يطيل المكوث عندها غير معجّل في استحصال لذائذه، وغير آبه بالخطر المحدق به، إذ يقول(٤٠):

وَبَيْضَةِ خِدْرٍ لَا يُـرَامُ خِـبَـاؤُهَـا تَـمَـتَّـعْـتُ مِـنْ لَّهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَـلِ

لا ينفك أمرؤ القيس يدفع عن نفسه كل ما يجرح فحولته، وكل ما يُنْبِي على أنه مُفَرَّكٌ(٤١) من النساء، فهو يسرد مغامراته على هذا الأساس كما في قوله(٤٢):

وَتَـحْـسَـبُ سَلْمَى لَا تَـزَالُ كَـعَـهْـدِنَا بِوَادِي الْخُزَامَى أَوْ عَلَى رَسِّ أَوْعَـالِ

لَـيَالِي سَـلْـمَى إِذْ تُـرِيْـكَ مُـنَـصَّبًا وَجِـيْـدًا كَـجِـيْدِ الرِّئْـمِ لَـيْسَ بِمِعْطَالِ

أَلَا زَعِـمَـتْ بَسْبَاسَةُ الْيَوْمَ أَنَّنِي كَـبِـرْتُ وَلَا يُـحْـسِـنُ اللَّهْوَ أَمْثَـالِي

كَذِبْتِ لَقَدْ أُصْبِي عَلَى الْمَرْءِ عِرْسَهُ وَأَمْـنَـعُ عِـرْسِي أَنْ يُـزَنَّ بِهَا الْخَالِي

وَيَـا* رُبَّ يَـوْمٍ قَـدْ لَهَـوْتُ وَلَيْلَةٍ بِـآنِسَـةٍ كَـأَنَّـهَا خَـطُّ تِـمْـثَـالِي

يَـضِـيْءُ الْفِرَاشَ وَجْهُهَا لِضَجِيْعِهَا كَمِـصْبَـاحِ زَيْـتٍ فِي قَنَـادِيْلِ ذَبَّالِ

.....

وَمِـثْـلِـكِ بَـيْـضَاءَ الْعَوَارِضِ طَفْلَةٍ لَـعُـوْبٍ تُـنَـسِّـيْـنِي إِذَا قُـمْتُ سِرْبَالِي

فهو في هذه المقطوعة، تطرق لاثنين من نسائه اللواتي لم يعدن حبيباته، وهما سلمى وبسباسة، فسلمى التي تماطله، تريه ولا تعطيه، وتحدّثه ولا تمكنه، وهي جاهلة بِحَسْبِها أنها باقيةٌ على مكانتها في قلبه ومحافظة على حبيها مع مطالها هذا، وقد صدّر حديثه عنها بـ تَحْسَبُ، أما بسباسة فهي الأخرى تزعم، وكلا الفعلين لا يدلان على اليقين، إنا كانت سلمى تحسب بقائي على ودها فبسباسة تزعم أني تركتها لمنقصة عندي، وهي أني لا أجيد اللهو ولا أحسنه وقد كبرت عليه، وقد خاب زعمها وكذبت فيما تزعم، إذ أني، ما زلت أغري المرأة وهي عند عريسها، وأمنع عرسي أن تفكر بغيري، وهنا يؤكد على رجولته وفحولته ومقدرته على الإتيان، مفندًا زعم بسباسة، ثم يسهب في إبراز قدراته ليعرض لنا أنه بيوم وليلة لَهَا بآنسةٍ كأنها خط تمثال، وهو وصف دقيق لمفاتن المرأة وجسدها المتناسق، وهو وصف ينبي بفتوة جسدتها وصغر سنها، بيضاء يضيئُ وجهُها لحبيبها الفراشَ، ولم يكتفِ بها وأنما هناك أخرى غير هذه هي مثلك (شكلًا) بيضاء العوارض جميلة لكنها تختلف عنك إذ أنها تنسيني إذا قمت عنها عقلي فاتركه عندها، فإنها مما يسرق اللب لدلعها فهي لعوب.

إن مغامرات امرئ القيس التي لسنا بصدد التحدث عن حصولها من عدمه إنما ينصبّ حديثنا عن كونها مظهرًا من مظاهر الشعر في المرأة غير الحبيبة، فمتى ما كانت الحبيبة قليلة الود عسرة المعاشرة، فالبديل عنها حاضر متهيّأٌ، كما في قوله(٤٣):

أَأَسْمَاءُ أَمْسَى وُدُّهَا قَدْ تَغَيَّرَا سَنُبْدِلُ إِنْ أَبْدَلْتِ بِالْوُدِّ آخَرَا

وفي قوله(٤٤):

إِنْ تَغْدِفِي دُوْنِي الْقِنَاعَ فَقَدْ أُصِبْبِي فَتَاةَ الْحَيِّ بِالْأُنْسِ

وخلاصة القول هنا: إنّ مردُّ تفرّد امرئ القيس في هذا الميدان من القول، هو تنشئته الأميرية التي اختلفت عن تنشئة غيره من شعراء البحث، فهو أمير ليس له من الحياة إلا الصيد واللهو والتلعق بفتاة وترك أخرى، فحياته التي قضى شطرًا كبيرًا منها في اللهو والمجون أسقطت على شعره ألفاظًا ومعانيَ تسلك هذا السبيل من القول الذي نراه فجًّا غليظًا، لا يصدر عن شاعرٍ مرهف الحس متزن الطباع.

٤- الفراق والنأي:

الفراق: (وَفَرَّقَهُ تَفْرِيْقًا وتَفْرِقَةً: بَدَّدَهُ، .... وَتَفَرَّقَ تَفَرُّقًا وتِفِرَّاقًا: ضدَّ تَجَمَّعَ، كافْتَرَقَ. وانْفَرَقَ: انْفَصَلَ،...)(٤٥).

النَّأي: (نأي: نَأَيْتُهُ، وعنه، كسَعَيْتُ: بَعُدْتُ. وأَنْأَيْتُهُ فانْتَأَى. وتَنَاءَوا: تَباعَدُوا، ...)(٤٦).

في هذه المفردة من البحث يكون الفراق أو النأي واقع من أحد الطرفين، قد يكون من الشاعر وهو الأعم الأغلب وقد يكون من المرأة التي ما عادت حبيبةً. والمحصلة النهائية لهذا الفراق أنه فراق غير مأسوف عليه، فراق وامقٍ لا فراق غير وامق، يقول امرؤ القيس في هذا الصدد(٤٧):

وَخَلِيْلٍ قَدْ أُفَارِقُهُ ثُمَّ لَا أَبْكِيْ عَلَى أَثَرِهْ

فعلى الرغم من أن لفظة (خليل) تعود على المذكر (الرجل) إلّا أنه لا ضير من عودها على المؤنث (المرأة) في عموم السياق، فلفظة (خليل) وقد وردت نكرةً تدل على العموم لا الخصوص، وتنبي عن سجية الشاعر في فراقه الأخلاء فضلًا عن غيرهم دون الإكتراث لفراقهم أو البكاء على أثرهم، ولطالما استفهم على نفسه مستنكرًا ما يخلفه الفراق فيه وكأنه لا يرضى لنفسه أن ينوص(٤٨) أي يفارق أويترك الحديث عنها لأنها نأته أو يقصر الخطو أو يبوص(٤٩) بمعنى يسرع هربًا من الحديث عنها، إذ يقول(٥٠):

أَمِنْ ذِكْرِ سَلْمَى أَنْ نَأَتْكَ تَنُوْصُ فَتُقْصُرُ عَنْهَا خُطْوَةً أو تَبُوْصُ

وكأنه لا يريد الحديث عنها ولا يريد أن يتوقف عند محطتها من حياته.

وهذا على خلاف ما نراه عند النابغة الذبياني الذي يرى بحتمية الفراق والنأي بين القرين وقرينه، وكأنه يواسي فؤاده بعدما كان النأي بينهما متبادلًا وأصبح ما بينهما واهيًا بعد إذ كان متينًا قويًا، فالنتيجة هي الشحط أي (البُعْد)(٥١). وهذا في قوله(٥٢):

نَـأَتْ بِسُـعَـادَ عَـنْـكَ نَـوًى شَـطُوْنُ فَـبَـانَـتْ وَالْفُـؤَادُ بِـهَـا رَهِـيْـنُ

فَـإِنْ تَـكُ قَـدْ نَـأَتْ وَنَـأَيْـتَ عَنْهَا وَأَصْـبَـحَ وَاهِـيًا حَـبْـلًا مَـتِـيْـنُ

فَـكُـلُّ قَـرِيْـنَـةٍ وَمَـقَـرِّ إِلْـفٍ مُـفَـارِقُـهُ إِلَـى الشَّـحْـطِ الْقَرِيْنُ

نلحظ أنّ هذه المحطّة من البحث تلخصت في شاعرين اثنين أولهما كان متقلبًا بين اثنتين؛ بين عدم الاكتراث لفراقٍ وبين أنه يهرب إلى الأمام من الخوض فيه، وبين شاعر آخر اكتفي أن يكون متعادلًا في النأي، راضيًا بما آلت إليه لأنها حتمية المصير، فلا بقاء في ما يرى لاجتماع الأحبة فضلًا عن غيرهم مما لا ودّ بيهم ولا حبّ.

ولم نلحظ في الأمثلة في أعلاه ما يوجب الكره علانيةً إلا أن عدم التأسي والتأسف فضلًا عن عدم الاكتراث يجعل هذه النصوص ضمن طاولة بحثنا في (المرأة غير الحبيبة).

٥- زجر الصبى ونهي النفس:

الزجر: (زَجَرَهُ: مَنَعَهُ ونَهاه، كازْدَجَرَهُ فانْزَجَرَ وازْدَجَرَ،...)(٥٣). والزجر: (هو المنع عن أمر معين، ويكون بالأمر فعلًا أو غير فعل، أو باسم الفعل، أو بالحرف "كلَا" أو ببعض أسماء الأصوات، مثل "عدسْ"، "كخ"، و"ده")(٥٤).

النهي: (نَهَاهُ يَنْهَاهُ نَهْيًا: ضِدَّ أَمَرَه، فانْتَهَى وتَنَاهى، ...)(٥٥). وإن كان امرؤ القيس تفرّد في البديل، فالأعشى تفرّد في زجر الصبى ونهى النفس عن الهوى، فمن آل ليلى التي أمعنت في ظُلْمِه متجبرةً(٥٦) فهو في صراع تغلب في آخره على هوى نفسه وازدجرها، بعدما اتركز في نفسه ظلمها إياه وتجبرها عليه، هذا الظلم الذي جعله يهجر الغانيات كلهن لا هي وحدها، إذ يقول(٥٧):

أَأَزْمَـعْـتَ مِـنْ آلِ لَـيْـلَـى ابْـتِـكَـارَا وَسَـطَّـتْ عَـلَـى ذِي هَـوًى أَنْ تُـزَارَا

قَـلِـيْـلًا فَـثَـمَّ زَجَـرْتُ الصَّبِيَّ وَعَـادَ عَـلَـيَّ عَـزَائِـي وَصَارَا

فَـاَصْـبَـحْـتُ لَا أَقْـرَبُ الْغَانِيَـا تِ مُـزْدَجِـرًا عَـنْ هَـوَايَ اِزْدِجَـارَا

لا يكون زجر الأعشى نفسه على وتيرة واحدة فمرة بارتفاع الصوت ومرة بالحديث إلى نفسه مختليًا بها، لما ذاقه منهن، وأذاقه إياهن من نفسه، وبعد أن كان جائرًا فيهن مغالٍ في طلبهن متتبعهن أينما حللن وأينما ارتحلن، وجد نفسه مقتصدًا مقلًا، بل أنه في عدم تصديق ما حصل من نفسه في ابتياع الجهل بالحكمة والهدى، وأن تكون مهراسًا ومارِدًا بلاده دون سائر البلدان، حتى لامه السفيه

الممعن بالبطالة على حاله الجديدة، التي لا يراها من الرشد، فالصورة معكوسة عند هذا السفيه الذي يرى البطالة رشدًا، فنراه يقول في سكينة وهدوء مخاطبًا نفسه(٥٨):

أَجِـدَّكَ وَدَّعْـتَ الصَّبِى وَالْوَلَائِـــدَا وَأَصْـبَـحْـتَ بَـعْدَ الْجَـوْرِ فِـيْهُنَّ قَاصِدَا

وَمَـا خِـلْـتُ أَن أَبْـتَـاعَ جَهْلًا بِحِكْمَةٍ وَمَـا خِـلْـتُ مِـهْـرَاسًا بِـلَادِي، وَمَارِدَا

يَـلُـوْمُ السَّـفِيُّ ذا البَطَالَـــةِ، بَعْدَمَا يَـرَى كُـلَّ مَـا يَـأْتِي الْبَطَالَةَ رَاشِـدَا

نحن لا ندري صحوة الشيخ هذه وزجره نفسه وتقصيره عن اللهو والبطالة، ما سببه، غير وقع الظلامة عليه والتجبّر من قبل ليلى كما في (سطّتْ) المثال السابق، وكذا الحال مع (تيَّا) التي ملأ فيها ديوانه والتي كانت علاقته بها علاقة قلقة لطالما لم تكن بالمحل الأوفى من قلبه التي لا يرى أنها تشفيه من دائه، تي التي من شيمها قتل الرجال حبًا ووجدًا، أقصر عنها الآن وأصبح يراها بطالة وسفاها بل ضلّة من ضلاله الكثيرة، إذ يقول(٥٩):

أَتُشْـفِيْكَ (تَـيَّـا) أَمْ تُـرِكْـتَ بِدَائِكَا وَكَـانَـتْ قَتُـوْلًا لِلْـرِجَالِ كَـذَلِـكَا

وَأَقْـصَـرْتَ عَنْ ذِكْرِ الْبَطَالَةِ وَالصِّبَى وَكَـانَـتْ سَفَـاهَا ضَلَّةً مِنْ ضِلَالِكَا

لطالما كان الشاعر الجاهلي متذبذبًا في عواطفه تجاه المرأة تقوده نوازعه إليها، حتى في دفاعه عنها هو يدافع عن ثوابته فيها لا عنها بالذات، لذا نراه يرضى فيقول عنها، ويغضب فيقول فيها، ينتصف لها من الآخرين، فإذا كان بينه وبينها أحن وبغضاء فانتصف لنفسه منها، وهذا ما نراه عند شعرائنا ـ موضوع البحث ـ وعند الأعشى خاصة وهو سيد هذه الفقْرة منه.

٦ـ السلو:

السلو: (وسلاه، وعنه، كدَعَاهُ وَرَضِيْهُ، سَلْوًا وسُلُوًّا وسُلْوَانًا وسُلِيًّا: نَسِيَهُ، وأَسْلَاهُ عنه فَتَسَلَّى، والاسم: السَّلْوَةُ، ويضم. ... كالسُّلْوَان، وخَرَزَةٌ تُدْفَنُ في الرَّمْلِ، فَتَسْوَدُّ، فَيُبْحَثُ عنها، ويُسْقَاها الإِنْسَانُ، فَتُسَلِّيْهِ. أو السُّلْوَان: ما يُشْرَبُ لِيُسَلِّيَ، أو هو أَنْ يُؤْخَذَ تُرَابُ قَبْرِ مَيِّتٍ، فَيُجْعَلُ في مَاءٍ، فَيُسْقَى العَاشِقَ، فَيَمُوتُ حُبُّهُ، أو هو دَوَاءٌ يُسْقَاهُ الحَزِيْنُ فَيُفرِّحَهُ، ...)(٦٠). وخلاصة ما دار في معنى السلو هو النسيان أو محاولته بطرائق شتى.

في علاقة امرئ القيس المضطربة بـ فاطمـ(ـةَ) التي ورد ذكرها في معلقته، وهي علاقة متوترة قد سأمها الشاعر، لِمَا فيها من التدلل الذي دلّ على الصرم والقطيعة ـ كما ذكرنا في أول مفردات هذا البحث ـ فإن الشاعر يُوكِل الأمر إليها في قطع العلاقة، إعلانًا منه أنه غير مكترث إلى ما ستؤول إليه الأمور، وكان عادة الشعراء الاعتذار لمن أحبوا إن بدر منهم ما يسوء الحبيب، بل أنهم ـ أي الشعراء ـ اعتذروا لإساءة محبوباتهم فيهم نيابة عنهن، هذا لمن أراد الوصل والبقاء أما من أراد الرحيل تبرمًا

بمن كانت في يوم ما حبيبة، أنه يعمل على قطع الوصل وجذم الحبل، أو كما فعل امرؤ القيس الذي أناط بفاطمة هذه المسؤولية فلا فرق عنده من يقطع، لأنه قطعها سلفًا، وهذا في قوله لها(٦١):

فَـإِنْ تَـكُ قَـدْ سَـاءَتْـكِ مِنِّي خَـلِـيْقَةٌ فَـسُـلِّـي ثِـيَـابِـي مِـنْ ثِـيَـابِـكِ تَـنْسُلِ

فقوله (خليقةٌ) ـ أيّ خليقةٍ مهما صغُرتْ أو كَبُرَتْ ـ لدليلٌ على أنه تركَ قبل أن يُترَك، وسلا قبل أن يكون مسلوًّا عنه بغيره.

وعلى خلاف امرئ القيس كان سلو زهير بن أبي سُلمى، الذي هجر جارته سلمى بعد إخلافها موعدًا قطعته له، وسلا عنها بجسرة أي (ناقة)(٦٢) تنجو به نجاء الأخدري (الحمار الوحشي)(٦٣) المفرد من قطيعه، الذي يكون الخطر عليه أكبر مما لو كان في القطيع، إذ يقول(٦٤):

دَارٌ لِـسَـلْـمَـى، إِذْ هُـمُ لَـكَ جِـيْـرَةٌ وَإِخَـالُ أَنْ قَـدْ أَخْـلَـفَـتْـنِي مَـوْعِـــدِي

دَعْـهَـا، وَسَـلِّ الْـهَـمَّ عَـنْـكَ بِجَسْرَةٍ تَـنْـجُــو نَـجَـاءَ الْأَخْـدَرِيِّ، الْمُـفْـرَدِ

فهو أراد السلو إرادةً للنجاة بنفسه نجاة الأخدري المفرد أو نجاة من ركب ناقة شديدة القوة تعبر به المفازات المهلكة دون أينٍ أو نصب.

فكل هذا السلو من همٍّ إنما هو من امرأة غير حبيبة أخلفت مواعيدها حتى أصبحت همومًا لا يمكن الإفلات منها إلا بجسرة تنجو بها نجاء الأخدري.

نرى أن الشعراء لا يألون جهدًا في تعدد المظاهر والصور في الخلاص من المرأة التي لم تعد حبيبة، فمرةً يترك الشاعر قرار السلو بيدها لأنه سلا سلفًا، ومرة يطلب النجاة منها بجسرة هربًا لا يلوي على شيء، إمعانًا في رفضها في حياته.

٧ـ الصَّدُّ:

الصد: (صّدَّ عنه صُدودًا: أعْرَضَ، ...)(٦٥). مرةً أخرى يلقانا امرؤ القيس وزهير، وهما على طرفي نقيض في علاقتيهما بالنساء، فبين متهتكٍ وبين متألهٍ ـ في مفردة من مفردات البحث ألا وهي الصد، ومرة أخرى يختلفان في سبب صدهما؛ فبين صدٍّ لظرف ألمّ به وغرض شغله وأصبح عليه: (اليوم خمر وغدًا أمر) وبين عيبٍ وصدود متبادل، يقول امرؤ القيس(٦٦):

وَيُـعْـجِـبُـكَ الَّلـهْــوُ وَالْمُـسْـمِـعَاتُ فَـأَصْـبَـحْـتَ أَزْمَـعْـتَ مِـنْـهَا صُدُوْدَا

وأما زهير بن أبي سُلمى فيقول(٦٧):

وَقَـالَـتْ أُمُّ كَـعْـبٍ لَا تَـزُرْنَـــــا* فَـلَا، وَاللهِ، مَـالَـكَ مِــنْ مَـــــزَارِ

رَأَيْـتُـكِ عِـبْـتِـنِـي وَصَدَدْتِ عَـنِّي فَكَـيْفَ رَأَيْـتِ عِرْضِي*، وَاَصْطِبَارِي

فإن كان صد امرئ القيس لا عن قلًى، وإنما عن شغل شاغل عاف النساء جميعهن لأجله، فصد زهير عن قلًى وعيبٍ وصدٍّ صدر من أم كعب (زوجه)، أفصح عنه الشاعر بعد عتابها له في قطع زيارته عنها. فهي لم تعد حبيبةً لديه بعد ثلبها إياه وصدها عنه.

٨- الهجر والرحيل:

الهجر: (هَجَرَهُ هَجْرًا، بالفتح، وهِجْرَانًا، بالكسر: صَرَمَهُ، والشيءَ: تَرَكَهُ كأَهْجَرَهُ، ... وهما يَهْتَجِرَانِ ويَتَهَاجَرَانِ: يَتَقَاطَعَانِ. ...)(٦٨).

في هذه المفردة من البحث يواجهنا شاعران اثنان هما النابغة والأعشى، وكلاهما هجر المرأة ـ بعد أن أصبحت غير حبيبة ـ بطريقته، معللًا هجره أو تاركه على عواهنه، منصفًا في هجره أو متجبرًا، فأما النابغة الذبياني فيقول(٦٩):

وَدِّعْ أُمَـامَةَ إِنْ أَرَدْتَ رَوَاحَـــــا وَطَوَيْـتَ كَشْـحًا دُوْنَـهُمْ وَجَنَـاحَـا

بِـوَدَاعَ لَا مَـلِـقٍ وَلَا مُـتَـكَـــارِهٍ لَا بَـلْ يَـعُـلُّ تَـحِـيَّـةً وَصِـفَـاحَـا

وَاَهْـجُـرْهُمُ هَـجْـرَ الصَّدِيْقِ صَدِيْقَهُ حَـتَّـى تُـلَاقِـيَـهُـمْ عَـلَـيْكَ شِحَاحَا

لَا خَـيْـرَ فِي عَـزْمٍ بِـغَـيْـرِ رَوِيَّةٍ وَالشَّـكُّ وَهْـنٌ إِنْ نَـوَيْـتَ سَرَاحَـا

في هذه المقطوعة التي تمتلئُ عاطفة صادقة يبدأها الشاعر بالوداع، لا الرحيل من غير وداع، إن نويت الرحيل، وداعَ غير متملقٍ ولا وداع متكاره مجبرٍ، وإنما وداع يعلوه التحية والمصافحة، وإن هجرت فأهجر الهجر الجميل هجر الصديق صديقه الضانّ به المدّخر ليوم لقاء لا هجرًا بائنًا لا رجعة فيه. إلى متى يا أيها النابغة؟. فيستدرك النابغة ويقول: حتى أذا ما وجدتهم شحاحًا عليك بخلاء بوصلك، هنا لا خير في الود ولا البقاء على العهد، ففعلهم مما لا يشك فيه فالشك وهنٌّ لما عزمت عليه من سراح.

وأما الأعشى الكبير فلطالما يلوم نفسه ويعاتبها ويحاسبها حتى يرضى منها بما عزم عليه من هجر، وكأنه يعلل نفسه بما قيول ليرتاح فيما يفعل إذ يقول(٧٠):

أَ تَـرْحَـلُ مِـنْ لَـيْلَى وَلَمَّـا تَزَوَّدِ وَكُـنْـتَ كَـمَـنْ قَضَّى اللُّبَانَةَ مِنْ دَدِ

أَرَى سَـفَـهًا بِالْمَـرْءِ تَـعْلِـيْقَ لُبِّهِ بِـغَـانِـيَـةٍ خُـوْدٍ، مَـتَـى تَـدْنُ تَـبْعُدِ

هو بعد أن عاتب نفسه على الرحيل دون وداع ليلى، على عكس ما جرت عليه عادته، يجيبها بأن من السفاهة بالمرء أن يتعلق بغانية تماطله الوصال، وإن كانت هذه الغانية جميلة فلا يشفع لها جمالها أن تتلاعب به هكذا.

وهذه تساؤلاته التي لا تنفك عند كل هجر بعد سأم منه، كما أفصح عنه وبيّنا ذلك في مكان سابق من البحث، وكأنه يتلذذ في جلد ذاته بهذه التساؤلات ليتخلص من جلد الذات الأكبر في أنه رجل لعوب نافس الغانية اللعوب نفسها. ومن تساؤلاته قوله(٧١):

أَتَـهْـجُـرُ غَـانِـيَـةً أَمْ تُـلِـمْ أَمْ الْحَـبْـلُ وَاهٍ، بِـهَـا مُـنْـجَـذِمْ

أَمْ الصَّـبْـرُ أَحْـجَى، فَـإِنَّ امْرَأً سَـيَـنْـفَـعُـهُ عِـلْـمُـهُ إِنْ عَـلِـمْ

من كل ما تقدم في هذه المفردة نرى أن الشاعرين قد هجرا وكان فعل الهجر مبيتًا في أنفسهما لما سأماه من وصال امرأتيهما على أن النابغة تلاعب بنا في أخذ النصف من نفسه أولًا ثم ليقرر ـ مع قناعتنا بما قرره دون شعور ـ مِن هجرٍ من شحّ عليه بالوصل. وأما الأعشى فقد أخذنا بتساؤلاته التي لم تكن بريئة وإنما كانت مقدمات لنتيجة حتمية وهي الهجران، ثأرًا لنفسه أو انتصافًا لها من غانية لعوب كان هو أكثر لعبًا منها.

٩ـ الطلاق:

الطلاق: (طَلَقَ يَطْلُقُ طَلاقًا. تِ المرأة من زوجها: انفصلت عنه وانحلَّ عقد الزواج بينهما. طَلَقَ يَطْلُقُ طَلاقًا وطُلُوْقًا. تحرَّر من القيد. طَلَّقَ تَطْلِيْقًا. ١ـ امرأتَه: فصلها عنه وحلَّ عقد الزواج بينهما....)(٧٢).

إن من بين أكثر الشعراء التي وصلت إلينا أخبارهم وأزواجهم هي أخبار زهير بن أبي سلمى وزوجاتهم ولا سيما أم أوفى وأم كعب وغيرهما، وفي المقطوعة الشعرية التي سيلي ذكرها، خلاصة قصة عاشها الشاعر مع أم أوفى وكيف أنه صبر على العيش معها أنه بالى بما لم تبالي هي به، وراعى ما لم تراعيه هي، ليطلب منها بكل روية وسكون، مع الفرق الواضح في النتيجة، إن كنتِ قد ظعنتِ ظعنًا لا رجعة فيه، فلا تقولي لوليك من أهلك (الصهر) إنك لاقيت المذلة والهوان عنده ـ أي عند زهير ـ، لأنك لم تذالي، وهي هذه الدنيا وكلانا قد تحصّل منها على شيء ـ على الرغم من أن بقاء ما تحصّل عليه هو وفناء ما تحصلت عليه هي ـ فقد أصاب منها بنيه، وهي أصابت منه الملذات والحلل الغالية!. إذ نراه يقول(٧٣):

لَعَمْـرُكَ، وَالْخُـطُـوْبُ مُـغَيِّـرَةٌ وَفِـي طُـوْلِ الْمُـعَاشَـرَةِ التَّـعَالِـي

لَـقَـدْ بَـالِـيْـتُ مَـظْـعَنَ أُمِّ أَوْفَى وَلَـكِـنْ أُمُّ أَوْفَـى لَا تُـبَـالِـي

فَـإِمَّـا إِذْ ظَـعَـنْـتِ، فَـلَا تَقُوْلِي لِـذِي صِـهْـرٍ: أُذِلْـتُ، وَلَـمْ تُذَالِي

أَصَـبْـتُ بَـنِـيَّ، مِنْكِ، وَنِلْتِ مِنِّي مِـنَ اللَّـذَّاتِ، وَالْحُـلَلِ، الْغَـوَالِي

وإن كان زهير لم يقل صراحة أن زوجه طالق فهذا الأعشى يطلقها، بل ويهددها بالعصا إن هي لم تفارقه وتبين عنه، ستبرق فوق رأسها، نرى الأعشى هنا وقد أجهر بكرهه لها وتبرمه منها وتمثّل صورة الرجل العنيف الذي يضرب بالعصا، إذ يقول(٧٤):

يَا جَـارَتِـي بِيْنِي فَـإِنَّكِ طَالِقَهْ كَـذَاكِ أُمُـوْرُ النَّاسِ غَـادٍ وَطَـارِقَهْ

وَبِـيْنِي فَإِنَّ الْبَيْنَ خَيْرٌ مِنَ الْعَصَا وَإِلَّا تَـزَالُ فَـوْقَ رَأْسِـكِ بَارِقَـهْ

والفرق بين الشاعرين هنا واضح، فبين زهير الذي راعى الذمام، وبين الأعشى الذي علّق كما في كل مرة الأمر على مجريات الدنيا في أمور الناس، كما أنهما اختلفا فزهير الذي لم تضام عنده المرأة وبين الأعشى الذي لوح بالعصا وهدد بالضرب.

الخاتمة:

الحمد لله كما هو أهله، حمدًا كثيرًا يوازي نعمه علينا والشكر له كما ينبغي والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرًا.

ونحن نطوي أخر صفحات هذا البحث لا بد من خاتمة نختم فيها حديثنا ونجلي فيها أهم ما توصلنا إليه من نتائج وأفكار، فنقول:

ـ اتّسم هذا البحث بالجدة فهو بحث جديد في عنوانه وظريف في مضمونه، فعلى الرغم من أن المرأة احتلت مساحة كبيرة في الأدب العربي، إنشاءً ووصفًا، إلا أنها لم تدرس من هذه الناحية، وإنما درست حبيبةً وعشيقةً ورمزًا وملهمةً، ولم تدرس درسنا الذي شرعنا به ولم تبحث بحثنا فيها وهو (المرأة غير الحبيبة).

ـ كان لا بد أن يقسّم البحث على مفردات تشي بالبغض والكره والفراق والقطيعة، مفردات تجعل من المرأة غيرَ حبيبةٍ ولا أنيسةٍ عند الشعراء، ليتسنى لنا الولوج إلى نفسية الشعراء واختلاف نظرتهم إليها وإن كانت غير حبيبة، فجاءت نظرتهم إليها متفاوتة بين قالٍ وبين لا أبالٍ. وهذه المفردات وردت صريحة في أشعارهم، فجاء التقسيم بناءً عليها.

ـ من استقراء النصوص الشعرية لشعراء الطبقة الأولى الجاهليين التي تناولت الصرم والقطيعة، نلخص إلى نتيجة مفادها؛ أن الشعراء تناولوا هذه الموضوعة من جهة أحادية وهي جهتم فقط، وإن كان لا بد من ذكر الطرف الآخر، فَذُكِرَ على أنه مقصرٌّ داعٍ إلى القطيعة تصريحًا أو تلميحًا، قولًا أو فعلًا، وأن الشعراءَ كلَّهم إنما صرموا حبيباتهم رد فعلٍ على ما صدر منهن، في غالب الأحيان إلا ما ورد في نصٍ للأعشى الذي قضى وطره بعد حول مكثه عندها!. ثأرًا لأنفسهم وكرامتهم وفحولتهم.

ـ أما القول في صحو الشعراء عن حبيباتهم: فهو الصحو عن حالة غير مَرْضِيَّةٍ لدى الشعراء أحسوا معها بالغبن والحيف والأسر والتكبيل، بل أحسوا أنهم في باطل بحق أنفسهم، صحوٌ اختلف في

جزئياته الشعراء آنفي الذكر، فمن غير معترف بتقصيره، ملقٍ اللوم على المرأة كما هو الحال عند امرئ القيس، إلى صحوٍ متكافئ أو يكاد، كما رأيناه عند زهير بن أبي سُلمى، إلى صحو هو أشبه بالخروج من سجنٍ وأسرٍ وتكبيلٍ كما هو الحال عن الأعشى.

ـ في مفردة البديل التي تفرّد بها امرؤ القيس فإنّ مردُّ تفرّده في هذا الميدان من القول، هو تنشئته الأميرية التي اختلفت عن تنشئة غيره من شعراء البحث، فهو أمير ليس له من الحياة إلا الصيد واللهو والتلعق بفتاة وترك أخرى، فحياته التي قضى شطرًا كبيرًا منها في اللهو والمجون أسقطت على شعره ألفاظًا ومعانيَ تسلك هذا السبيل من القول الذي نراه فجًّا غليظًا، لا يصدر عن شاعرٍ مرهف الحس متزن الطباع.

ـ أما في النأي والفراق فتلخص في شاعرين اثنين أولهما كان متقلبًا بين اثنتين؛ بين عدم الاكتراث لفراقٍ وبين أنه يهرب إلى الأمام من الخوض فيه، وبين شاعر آخر اكتفي أن يكون متعادلًا في النأي، راضيًا بما آلت إليه لأنها حتمية المصير، فلا بقاء في ما يرى لاجتماع الأحبة فضلًا عن غيرهم.

ـ في زجر الصبى ونهي النفس لطالما كان الشاعر الجاهلي متذبذبًا في عواطفه تجاه المرأة تقوده نوازعه إليها، حتى في دفاعه عنها هو يدافع عن ثوابته فيها لا عنها بالذات، لذا نراه يرضى فيقول عنها، ويغضب فيقول فبها، ينتصف لها من الآخرين، فإذا كان بينه وبينها أحن وبغضاء فانتصف لنفسه منها، وهذا ما نراه عند شعرائنا ـ موضوع البحث ـ وعند الأعشى خاصة وهو سيد هذه الفقْرة منه.

ـ نرى أن الشعراء لا يألون جهدًا في تعدد المظاهر والصور في الخلاص من المرأة التي لم تعد حبيبة، فمرةً يترك الشاعر قرار السلو بيدها لأنها سلا سلفًا، ومرة يطلب النجاة منها بجسرة هربًا لا يلوي على شيء، إمعانًا في رفضها في حياته.

ـ فإن كان صد امرئ القيس لا عن قلًى، وإنما عن شغل شاغل عاف النساء جميعهن لأجله، فصد زهير عن قلًى وعيبٍ وصدٍّ صدر من أم كعب (زوجه)، أفصح عنه الشاعر بعد عتابها له في قطع زيارته عنها. فهي لم تعد حبيبةً لديه بعد ثلبها إياه وصدها عنه.

ـ في الهجر نرى أن الشاعرين قد هجرا وكان فعل الهجر مبيتًا في أنفسهما لما سأماه من وصال امرأتيهما على أن النابغة تلاعب بنا في أخذ النصف من نفسه أولًا ثم ليقرر ـ مع قناعتنا بما قرره دون شعور ـ مِن هجرٍ مَن شحّ عليه بالوصل. وأما الأعشى فقد أخذنا بتساؤلاته التي لم تكن بريئة وإنما كانت مقدمات لنتيجة حتمية وهي الهجران، ثأرًا لنفسه أو انتصافًا لها من غانية لعوب كان هو أكثر لعبًا منها.

ـ كان الفرق بين الشاعرين واضحًا، فبين زهير الذي راعى الذمام، وبين الأعشى الذي علّق كما في كل مرة الأمر على مجريات الدنيا في أمور الناس، كما أنهما اختلفا فزهير الذي لم تضام عنده المرأة وبين الأعشى الذي لوح بالعصا وهدد بالضرب.

ـ توصي الباحثة أن يخوض الباحثون في هذا المجال الرحب، فالشعر العربي غنيٌّ بـ (المرأة غير الحبيبة) على اختلاف عصوره وثقافة شعرائه.

وأخيرًا وليس آخرًا الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي سيد المرسلين وآله الغر الميامين.

الهوامش:

١ـ ينظر: الجنس بين النفس والفسلجة: الدكتور علي الأمير، دار الشؤون الثقافية، بغداد العراق، ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى: ٢/ ٢٠. وينظر: الأنثى هي الأصل: د. نوال السعداوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، منشورات وتوزيع المكتبة العالمية، بغداد ـ شارع السعدون، ١٩٧٤م: ٢٠، وينظر: البغاء عبر العصور أقدم مهنة في التاريخ: سلام خيّاط، رياض الريس للكتب والنشر، لندن / قبرص، ١٩٩٢، الطبعة الأولى: ٢٢ ـ ٢٤.

٢ـ الحب والفناء تأملات في المرأة والعشق والوجود: علي حرب، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠م، الطبعة الأولى: ٢٨.

٣ـ ينظر: طبقات فحول الشعراء تأليف محمد بن سلام الجمحي (١٣٩ ـ ٢٣١ هـجرية) قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر، الناشر دار المدني بجدة، المؤسسة السعودية بمصر، ١٩٧٤م، الطبعة الأولى: ١/ ٢٦.

٤ـ ينظر: سيرة بعض الشعراء الذين عرفوا بالمرأة واقترنت اسماؤهم بها. على سبيل المثال لا الحصر: جميل بثينة، وكُثَيِّر عزّة، وقيس لبنى، وقيس ليلى، وغيرهم.

٥ـ نقصد بالنظرة الحقيقية للمرأة لأننا نرى أن بعضًا من الشعراء كان يرى المرأة شيئًا ويكتب عنها شيئًا آخر، فالمرأة عنده ـ أدبيًا ـ مغايرةٌ للمرأة عنده سواء في بيته أم في مكان عمله، كما يصطلح عنها بـ "ازدواجية التعامل". ولا سيما عند الجاهليين. ينظر في هذا المجال: دونية المرآة في المجتمع الجاهلي وفوقيتها في الخطاب الشعري: عبد الله حبيب التميمي وسحر كاظم حمزة الشجيري، كلية التربية / جامعة القادسية، مجلة جامعة بابل/ العلوم الإنسانية/ المجلد ٢٢/ العدد ٢/ لسنة: ٢٠١٤: ٣١٤ ـ ٣٣٨.

* ـ أصل العبارة: (لأن كل معروف داخل تحت سلطان العارف واستيلائه دخولًا ما). كتاب مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار: لأبي حامد الغزالي: ١٣٨.

٦ـ الحب والفناء: ١٤.

٧ـ المصدر السابق: ٢٧.

٨ـ ورد في كتاب الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: لأبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت ٣٨٤ هـ)، تحقيق وتقديم، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م، الطبعة الأولى: ٢٥٥ ـ ٢٥٦ (... أخبر الهيثم بن عدى، قال لى صالح بن حسان: هل تعرف بيتا من الشعر نصفه أعرابى فى شملة، والنصف الآخر مخنّث من أهل العقيق يتقصّف تقصّفا؟ قلت: لا والله. قال: قد أجّلتك حولا. قلت: لو أجّلتنى حولين ما علمت الذى سألتنى- وقال محمد فى حديثه: لو أجلتنى خمسين حولا لم أعرفه- فقال: أفّ لك؟ قد كنت أحسبك أجود علما مما أنت. قلت: وما هو؟ قال: أو ما سمعت قول جميل: (الا أيّها النّوّام ويحكم هبّوا)

اعرابى والله يهتف فى شملة، ثم أدركه اللين وضرع الحب وما يدرك العاشق، فقال: أسائلكم هل يقتل الرجل الحبّ كأنه والله من مخنّثى العقيق يتفكّك. وقال إبراهيم: وبعد هذا البيت:

فقالوا نعم حتى يسلّ عظامه ويتركه حيران ليس له لبّ) والبيت في ديوان جميل بثينة: جمع وتحقيق: د. حسين نصّار، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦٧م، الطبعة الثانية: . ومثل هذه الأمثلة الكثير، ينظر: الموشح: ٢٥٦ ـ ٢٥٧. وما بعدها، فقد أحصى المرزباني الكثير مما وقع فيه الشعراء المحدثين.

٠قال الهيثم بن عدي سألني صالح بن حسان يومًا عن بيتٍ نصفه كأنه إعرابي في شملةٍ ونصفه الآخر كأنه مخنثٌ يتفكك فقلت ما أدري. قال هو قول جميل العذري:

ألا أيها النُّوام ويحكموا هبّوا نسآئلكم هل يقتل الرجل الحبّ

فكأنَّ صدره بدويٌّ من العرب البائدة وعجزه من مخانيث العقيق).

٩ـ شعر عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: جمعه عبد الحميد الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م، الطبعة الأولى: ٩٠.

١٠ـ معجم القاموس المحيط: للفيروزآبادي: رتبه ووثّقه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٩، الطبعة الرابعة: ٧٣٥ ـ ٧٣٦.

١١ـ المصدر نفسه: ١٠٧٠ ـ ١٠٧١.

١٢ـ ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري المتوفى سنة ٢٧٥ هـ، دراسة وتحقيق، د. أنو عليان أبو سويلم، ود. محمد علي الشوابكة، إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ، دولة الإمارات العربية المتحدة ـ العين، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى: ١٩٢. وديوانُ امرؤ القيس ابن حجر الكندي توفي سنة ٥٤٠م، بشرح محمد بن إبراهيم بن محمد الحضرمي توفى سنة ٦٠٩ هـ، قدّم له وحققه الدكتور أنور أبو سويلم، والدكتور علي الهروط، وساعد في تحقيقة الدكتور علي الشوملي، نشر بدعم من جامعة مؤتة، دار عمّار، عمّان ـ الأردن، الطبعة، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩١م، الطبعة الأولى: ٤٨.

١٣ـ الديوان: شرح السكري: ٥٢٤. وفي شرح الحضرمي: ١٧٨ ـ ١٧٩.

١٤ـ ينظر: معجم القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ٩٦٤.

١٥ـ معجم القاموس المحيط: ١١٠٢.

١٦ـ الديوان: شرح السكري: ٦٤٧ ـ ٦٤٨. وفي شرح الحضرمي: ٢٤٠.

١٧ـ الديوان: شرح السكري: ٦٤٩.

١٨ـ الديوان: شرح السكري: ٧٣٥ ـ ٧٣٦.

١٩ـ الديوان: صنعة ثعلب: ٧٣.

٢٠ـ الديوان: ٦١.

٢١ـ معجم القاموس المحيد: الفيروزآبادي: ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

٢٢ـ معجم القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ١٣٣.

٢٣ـ الديوان: ١٣٠.

٢٤ـ المصدر نفسه: ٤٠.

٢٥ـ الديوان: ٢٧.

٢٦- وَيْحُ زيدٍ، ووَيْحًا له: كلمة رحمة، ورفْعُهُ على الابتداء ونصبه بإضمار فعل، وويحَ زيدٍ وويحَهُ نصبُهما به أيضًا، وويحَما زيدٍ: بمعناهـ أو أصلُهُ: وَيْ، فوُصِلَتْ بحاءٍ، مرةً، وبلامٍ مرةً، وبباءٍ مرةً، وبسينٍ مرةً. معجم القاموس المحيط: ١٤٢٤.

٢٧- الديوان: ٧٧.

٢٨- الديوان: ٢٥١.

٢٩- الديوان: ٢٩٣.

٣٠- معجم القاموس المحيط: ٧٣٠.

٣١- الديوان: شرح السكري: ٧٠٠.

٣٢- الديوان: شرح السكري: ٧١٢.

٣٣- الديوان:صنعة ثعلب: ٩٨.

٣٤- الديوان: صنعة ثعلب: ١١٣.

٣٥- الديوان: صنعة ثعلب: ٢٤٨.

٣٦- الديوان: ٣٥١.

٣٧- الديوان: ٧٧.

٣٨- معجم القاموس المحيط: ٨٦ ـ ٨٧.

٣٩- الديوان: شرح السكري: ١٨٦. وفيها (مثلِك) بكسر اللام، وبكسر واو (محوِل) لا فتحها. وفي شرح الحضرمي: ٤٢.

٤٠- الديوان: شرح الحضرمي: ٥٠.

٤١- المُفَرَّكُ: كَمُعَظَّمٍ: تُبْغِضُهُ النساءُ. لتفصيل أكثر ينظر: معجم القاموس المحيط: ٩٩٢. وقد كان امرؤ القيس مُفَرَّكًا من النساء وهذا ما ورد في سيرته، ينظر على سبيل المثال: حكومة أم جندب زوجه بينه وبين علقمة الفحل، ديوان امرئ القيس: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٨٤، الطبعة الخامسة: ٤٠.

٤٢- الديوان: شرح السكري ٣١٠ ـ ٣١٩. وفي شرح الحضرمي: ٩٤ ـ ٩٧.

* - في رواية السكري (بلى) بدلًا عن (ويا).

٤٣- الديوان: شرح الحضرمي: ١٤٣.

٤٤- الديوان: شرح السكري: ٦٧٤.

٤٥- معجم القاموس المحيط: ٩٩١ ـ ٩٩٢.

٤٦- معجم القاموس المحيط ١٢٥٤.

٤٧- الديوان: شرح السكري: ٤٤٣ وقد وردت كلمة (أصاحبه) بدلًا عن (أفارقه) ولا يستقيم معنى البيت بها. وفي شرح الحضرمي: ٢٠٤.

٤٨- ينظر: معجم القاموس المحيط: ١٣٢٤.

٤٩- ينظر: المصدر نفسه: ١٤٢.

٥٠- الديوان: شرح السكري: ٦٠٧. وفي شرح الحضرمي:٢٣٣،

٥١- ينظر: معجم القاموس المحيط: ٦٧٠.

٥٢- الديوان: ٢١٨.
٥٣- معجم القاموس المحيط: ٥٥٣.
٥٤- المعجم المفصّل في اللغة والأدب: تأليف د. أميل بديع يعقوب، و. ميشال عاصي، دار ناب مصطفوي - إيران، ١٤٣٢ هـ.ق/ ١٣٩٠ هـ.ش، الطبعة الأولى: ١/ ٦٩٣.
٥٥- معجم القاموس المحيط: ١٣٢٢.
٥٦- ينظر في معنى (سطٌّ) كل من: تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مادة (س ط ط): ١٩/ ٣٤٨. وينظر: معجم القاموس المحيط: ٦١٣.
٥٧- الديوان: ٤٥.
٥٨- الديوان: ٦٤.
٥٩- الديوان: ٨٩.
٦٠- معجم القاموس المحيط: ٦٣٥.
٦١- الديوان: شرح السكري: ١٩٤.
٦٢- ينظر: معجم القاموس المحيط: ٢١٦.
٦٣- ينظر: المصدر نفسه: ٣٥٢.
٦٤- الديوان: صنعة ثعلب: ١٩٧ - ١٩٨.
٦٥- معجم القاموس المحيط: ٧٣١.
٦٦- الديوان: شرح السكري: ٦٧٧.
٦٧- الديوان: صنعة ثعلب: ٢٤٦.
* - في بعض نسخ الديوان (تزرني) بدلًا عن (تزرنا). ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى: اعتنى به وشرحه، حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م، الطبعة الثالثة: ٣٣.
* - في بعض نسخ الديوان (صبري) بدلًا عن (عرضي). ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى: حمدو طمّاس: ٣٣.
٦٨- معجم القاموس المحيط: ١٣٣٦.
٦٩- الديوان: ٢٠٠.
٧٠- الديوان: ٢٥١.
٧١- الديوان: ٣٥.
٧٢- المعجم الرائد (معجم لغويٌّ عصريٌّ رُتِّبت مُفرداته وفقًا لحروفها الأولى): تأليف جُبران مسعود، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٩٩٢، الطبعة السابعة: ٥٢٤.
٧٣- الديوان: صنعة ثعلب: ٢٥١.
٧٤- الديوان: ٢٦٣.

المصادر والمراجع:

أ - الكتب:

الأنثى هي الأصل: د. نوال السعداوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، منشورات وتوزيع المكتبة العالمية، بغداد ـ شارع السعدون، ١٩٧٤م.

البغاء عبر العصور أقدم مهنة في التاريخ: سلام خيّاط، رياض الريس للكتب والنشر، لندن / قبرص، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق عبد العليم الطحاوي، دار الهداية، د.ت، د. ط.

الجنس بين النفس والفسلجة: الدكتور علي الأمير، دار الشؤون الثقافية، بغداد العراق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م،

الحب والفناء تأملات في المرأة والعشق والوجود: علي حرب، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠م.

ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق الدكتور م. محمد حسين، الناشر مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية، ١٩٥٠م.

ديوانُ امرؤ القيس ابن حجر الكندي توفي سنة ٥٤٠م، بشرح محمد بن إبراهيم بن محمد الحضرمي توفى سنة ٦٠٩ هـ، قدّم له وحققه الدكتور أنور أبو سويلم، والدكتور علي الهروط، وساعد في تحقيقه الدكتور علي الشوملي، نشر بدعم من جامعة مؤتة، دار عمّار، عمّان ـ الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩١م.

ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري المتوفى سنة ٢٧٥ هـ، دراسة وتحقيق، د. أنو عليان أبو سويلم، ود. محمد علي الشوابكة، إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ، دولة الإمارات العربية المتحدة ـ العين،الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م.

ديوان امرئ القيس: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٨٤، الطبعة الخامسة: ٤٠.

ديوان جميل بثينة: جمع وتحقيق: د. حسين نصّار، مكتبة مصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م.

ديوان زهير بن أبي سلمى: اعتنى به وشرحه، حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م.

ديوان النابغة الذبياني: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى: صنعة أبي العباس ثعلب، قدّم له ووضع حواشيه وفهارسه، الدكتور حنّا نصر الحتّي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤م.

شعر عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: جمعه عبد الحميد الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، الطبعة الأولى، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م.

طبقات فحول الشعراء: تأليف محمد بن سلام الجمحي (١٣٩ ـ ٢٣١ هـجرية) قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر، الناشر دار المدني بجدة، المؤسسة السعودية بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.

كتاب مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار: للإمام الغزالي، شرح ودراسة وتحقيق، الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦م.

المعجم الرائد (معجم لغويٌّ عصريٌّ رُتِّبت مُفرداته وفقًا لحروفها الأولى): تأليف جُبران مسعود، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة السابعة، ١٩٩٢م.

معجم القاموس المحيط: للفيروزآبادي: رتبه ووثّقه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٩م.

المعجم المفصّل في اللغة والأدب: تأليف د. أميل بديع يعقوب، و. ميشال عاصي، دار ناب مصطفوي ـ إيران، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ.ق/ ١٣٩٠ هـ.ش.

الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: لأبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت ٣٨٤ هـ)، تحقيق وتقديم، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م.

ب ـ البحوث والمجلات:

دونية المرآة في المجتمع الجاهلي وفوقيتها في الشعر: عبد الله حبيب التميمي وسحر كاظم حمزة الشجيري، كلية التربية / جامعة القادسية، مجلة جامعة بابل/ العلوم الإنسانية/ المجلد ٢٢/ العدد ٢/ لسنة: ٢٠١٤م.